أثرُ الزَّمن الفعلي في توجيهِ دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني

إعداد: الباحث بكر عبد العزيز عبُود

إشراف: أ. د. سمير أحمد معلوف – المشرف المشارك: أ. م. د. وصال الحميد –

جامعة حمص – كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة – قسم اللُّغة العربيَّة

ملخَّص البحث:

ممَّا هو معروف في تراثنا النقدي والبلاغي أنَّ الجملة الفعليَّة تدلُّ على التجدُّد، أمَّا الجملة الاسميَّة فإنَّها تدلُّ على الثبوت، إلَّا أنَّ هذا فيه نظرٌ، إذ لا يُمكننا أنْ نُفرِّقَ بين الجُملةِ الفعليَّةِ والاســـميَّةِ من حيث الدلالة على التجدُّد أو الثَّبات فقط، بيان ذلك أنَّ الفعلَ قد يأتي على صيغةِ (فَعَلَ) إلَّا أنَّ دلالته على ذلك الزمن تتغيَّر تبعًا لاختلاف التراكيب التي ينتظم فيها وما يتضمَّنه السِّياق من قرائن وأدوات تُساعد في توجيه دلالته الزمنيَّة.

وقد عمد هذا البحث إلى دراسة أثر الزمن الفعلي في توجيه دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني.

الكلمات المفتاحيَّة: الزَّمن، الفعل، الدلالة، التَّركيب، القرينة، السِّياق، النَّظم.

The Impact of Actual Time on Directing the Meaning of Syntax in the Poetry of Abu Firas al-Hamdani

By Bakr Abdel Aziz Abboud

Supervised by Professor Samir Ahmed Maalouf

Co – Supervisor: Prof. Dr. Wisal Al-Hamid

Department of Arabic Literature, Faculty of Arts, Homs University

Abstract:

It is well-known in our critical and rhetorical heritage that the verbal sentence indicates renewal, while the nominal sentence indicates permanence; however, this is debatable. We cannot differentiate between verbal and nominal sentences based solely on their indication of renewal or stability. This is because the verb may come in the form of (faʿala), but its indication of that time changes according to the different structures in which it is organized and what the context includes of clues and tools that help to guide its temporal indication. This research aimed to study the effect of actual time on directing the meaning of the structure in the poetry of Abu Firas al-Hamdani.

Keywords:

time, verb, meaning, structure, context, order.

- **المقدمة:**

ممَّا هو معروف في تراثنا النقدي والبلاغي أنَّ الجملة الفعليَّة تدلُّ على التجدُّد، أمَّا الجملة الاسميَّة فإنَّها تدلُّ على الثبوت، قال القزويني (– 739 هـــ): " وفعليَّتها لإفادة التجدُّد. واسميَّتها لإفادة الثبوت، فإنَّ من شأنِ الفعليَّة أنْ تدلَّ على التجدُّدِ، ومن شأنِ الاسميَّةِ أنْ تدلَّ على الثبوت "[1]، إلَّا أنَّ هذا فيه نظرٌ، إذ لا يُمكننا أنْ نُفرِّقَ بين الجُملةِ الفعليَّةِ والاسميَّةِ من حيث الدلالة على التجدُّد أو الثَّبات فقط، فالأفعال أحداثٌ تدلُّ على الزمن الماضـــي أو الحاضـــر المستمر الذي لم ينقطع أو المستقبل كما يقول سيبويه في (الكتاب): " وأمَّا الفعل فأمثلة أُخِذتْ من لفظِ أحداثِ الأســماء، وبُنِيتْ لما مضـــى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يَنقطع. فأمَّا بناء ما مضـــى فذَهَبَ وسَـــمِعَ ومَكُث وحُمِدَ. وأمَّا بناء ما لم يقع فإنَّه قولك آمِرًا: اذهَبْ واقتُلْ واضـرِبْ، ومخبرًا: [يَقْتُلُ و] يَذهَبُ ويَضْـرِبُ ويُقْتَلُ ويُضـرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ "[2]، وهذه الأفعال تتحدَّدُ دلالتُها على الزمن من خلال بناءِ التركيبِ اللُّغوي ضـــمن سياق النَّظم، بيان ذلك أنَّ الفعلَ قد يأتي على صيغةِ (فَعَلَ) إلَّا أنَّ دلالته على ذلك الزمن تتغيَّر تبعًا لاختلاف التراكيب التي ينتظم فيها ضــمن ســياق النَّظم، ومن هنا نلاحظ أنَّ دلالة الأفعال

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج2، ص: 133.

[2] الكتاب، سـيبويه، تح: عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة – مصـر، ط3، 1988م، ج1، ص: 12.

على الزمان لا تتحدَّد بصـيغتها التي تُصـاغ منها فحسـب، وإنَّما يتمُّ تحديد زمانها من صـيغتها الصرفية وبناء الجملةِ وما تتضمَّنه من زياداتٍ تُعينُ الفِعْلَ على تقرير الزمان في حدود واضحة.[1] ومن هنا تكمن أهميَّة دراســـة أثر الزَّمن الفعلي في توجيه دلالة التَّركيب في شـــعر أبي فراس الحمْداني، حتَّى نســـتطيع أنْ نتبيَّن اختلاف الدلالة الزمنيَّة للأفعال تبعًا لاختلاف صـــيغتها الصَّـرفيَّة وما يتضـمَّنه سـياق النَّظم من قرائن تُعين في توجيه الدلالة الزمنيَّة للأفعال في تركيب الصُّورة الكلاميَّة في شعر أبي فراس الحمْداني.

- **أهميَّة البحث:**

إنَّ الحديث عن أثر الزَّمن الفعلي في توجيه دلالة التَّركيب يمنح المتلقِّي قدرةً على إدراك اختلاف الدلالة الزمنيَّة للأفعال تبعًا لاختلاف صـيغتها الصَّـرفيَّة والقرائن التي تسـاعد في توجيه دلالتها الزمنيَّة، وبذلك يســتطيع المتلقِّي فهم النَّص اللُّغوي، لا ســيَّما عند أبي فراس الحمْداني، إذ تميَّز شعره باختلاف الدلالة الزمنيَّة للأفعال من سياقٍ لغويٍّ لآخر.

- **مشكلة البحث:**

لا بدَّ لكلِّ بحثٍ أكاديميٍّ من أنْ يواجه بعض المشـــكلات التي قد تعتري الباحث عند الخوض في غمار البحث، ومن تلك المشـــكلات التي واجهتني مشـــكلة تحديد الدلالة الزمنيَّة

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط3، 1983م، ص: 24.

للفعل، فمعرفة الدلالة الدلالة الزمنيَّة للفعل تحتاج إلى مزيدٍ من التروِّي والتأمُّل في فهم دلالة النَّصِّ اللُّغويِّ وما يحمله من قرائن تساعد في فهم الدلالة الزمنيَّة التي يقصدها الشَّاعر.

- **هدف البحث:**

يهدف البحث إلى إيضـــاح أثر الزَّمن الفعلي في معرفة الدلالة الزمنيَّة للنصِّ اللُّغويِّ عند أبي فراس الحمْداني، من خلال الوقوف على العوامل المؤثِّرة في توجيه تلك الدلالة.

- **منهجيَّة البحث:**

سـنتَّبع في بحثنا هذا المنهج الوصـفي التحليلي، لأنَّ هذا المنهج يقوم بوصـف الظَّاهرة اللُّغويَّة وتحليلها، لاسـتنباط التغيُّرات الزمنيَّة للتركيب في شـعر أبي فراس الحمْداني، من خلال الوقوف على نماذج مختارة من شعره.

- **هيكليَّة البحث:**

تتألَّف الدراسـة من مبحثٍ واحدٍ، تمَّ الحديث فيه عن اختلاف الدلالة الزمنيَّة للفعل داخل سـياق الجملة الفعليَّة، وما يحمله من اختلافٍ في دلالته الزمنيَّة تبعًا لاختلاف السـياق والقرائن الداخلة عليه ضمن تركيب الصُّورة الكلاميَّة في شعر أبي فراس الحمْداني.

أولًا: الزَّمن في الجملة الفعليَّة:

الجملةُ الفعليَّةُ هي الجملةُ التي يكونُ المُسْـــندُ فيها فعلًا، ويختلفُ موقعُه في ســـياقِ التَّركيبِ اللُّغوي، فتارةً يتقدَّم على الفاعل والمفعول به (إذا كان الفعلُ متعدِّيًا) فيأتي موافقًا للصِّيغةِ الأصليَّةِ في تركيبِ الجُملةِ العربيَّةِ، وفي أحيان أخرى يأتي الفعلُ متأخرًا عن الفاعلِ والمفعولِ به فيخالفُ تلك الصِّـــيغةَ، فقد أشـــارَ علماؤنا القدامى إلى أنَّ هناك تقديمٌ على نيَّة التأخير، وتقديمٌ ليس على نيَّة التأخير، ومن بينهم عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) حين قســـم التقديم قسمين، أحدهما تقديم على نيَّة التأخير، وذلك يكون في كلِّ شـيءٍ أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنســـه الذي كان فيه، كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل، كقولنا: " منطلقٌ زيدٌ " و " ضـــرب عمرًا زيدٌ "، فـــــ " منطلق " و " عمرًا " لم يخرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه قبل ذلك، فبقي " منطلق " خبرًا مقدَّمًا للمبتدأ " زيدٌ "، و" عمرًا " مفعولًا به للفعل " ضربَ ".

والآخر تقديمٌ لا على نيَّة التأخير، بل على أن تنقل الشـــيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابًا غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه، كما في قولنا: " ضربت زيدًا "، و " زيدٌ ضربته "، فلم يتقدَّم " زيدًا " على أنَّه مفعولًا منصـوبًا بالفعل كما كان، بل أصـبحَ مرفوعًا بالابتداء، وشُـغِلَ الفعل بضـميره، وجُعِلَ في موضع الخبر له.[1]

[1] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شـاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992م، ص: 106 - 107.

ونجد هذه التقديمات بين المسند والمسند إليه في الشعر العربي أيضًا، وهذا مطلبٌ من مطالب الإبداع في الشِّعر، لأنَّ الإبداع يقتضي أنْ تنحو نحو " معرفةِ كيفيَّة التركيب فيما بين الكلِم لتأديةِ أصلِ المعنى مطلقًا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب "[1]، وهو مطلبٌ لا يحيدُ عن ضرورةِ العدولِ عن المقياس المتَّبعِ في طريقةِ نَظْمِ الكلامِ العربيِّ من أجلِ الوصولِ إلى المعنى الذي يبتغيه المتكلِّم من نصِّه، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في قوله: " الألفاظ لا تُفيد حتَّى تُؤلّف ضربًا خاصًّا من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب "[2]، وهو ما يمكن تسميته بالعدول أو الانزياح التركيبي لتأدية المعنى المُراد، من خلال الامتناعِ عن إجراءِ الكلامِ على الأصلِ، واللُّجوء إلى العدول في اللُّغة عن مستوى استخدامها المألوف.[3]

ثانيًا: الزَّمن الفعلي وأثره في توجيه دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني:

يُعدُّ الفعلُ الرُّكنَ الأساسَ في تركيبِ الجُملةِ الفعليَّةِ، فعليه مناط التعلُّق ونواته، وبه تكتملُ الدلالةُ وتترابط التراكيب في الصُّورةِ الكلاميَّةِ، فهو يدلُّ على الحدث والزمن والفاعل،[4] إلَّا

[1] مفتاح العلوم، السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، ص: 125.
[2] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدَّة، د.ط، د.ت، ص: 4.
[3] ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة – مصر، ط1، 1994م، ص: 270.
[4] ينظر: الخصائص، ابن جنِّي، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصريَّة، المكتبة العلميَّة، د.ط، د.ت، ج3، ص: 98.

أنَّ تلك الدلالة تبقى مُبهمة إلى أنْ يكتملَ تركيبُ الجملةِ الفعليَّة التي تُزيلُ إبهامَ الفعلِ، بيانُ ذلك أنَّنا إذا قُلنا: حَضَـرَ، فإنَّ الفعل يدلُّ على حدثٍ هو الحضـور، وزمنٍ هو الماضـي، إلَّا أنَّ هذا الزمن غير محدَّدٍ في أيِّ جزءٍ من أجزاء الزمن الماضـي، وفاعلٍ لا يُدرى من هو، فإذا اكتمل تركيبُ الجُملةِ الفعليَّةِ انتقل الفعل من حالةِ الإبهامِ إلى حالةِ التقييدِ، فإذا قلنا: حَضَرَ محمدٌ نكون قد أزلنا إبهام الفاعل، وإذا قلنا حضـرَ محمدٌ صـباح اليوم، فقد أزلنا إبهام الزمان بالظرف، وإذا قلنا: أبلى محمدٌ بلاء الأبطال، نكون قد أزلنا إبهام الحدث من خلال الإبانة عن نوع هذا الحدث، فمن خلال تلك القيود التي أضـفناها للفعل من خلال صـياغته في تركيب الجملة أزلنا عنه الإبهام، فـ ((محمد)) و ((صباح اليوم)) و ((بلاء الأبطال)) قيود للفعل ((حضرَ))، وإنْ تجوَّز النحاة في الإعراب، لأنَّ الفاعل ((محمد)) عندما وُضِـع إلى جانب ((حضـرَ)) أبان عن الفاعل الذي تدلُّ عليه صيغة ((فعل))، وكذلك الظرف والحدث المبين، فكلٌّ منهما أبان عن الزمن الذي وقع فيه الفعل، ونوع الحدث الذي وقع عليه.[1]

ومن تلك الزيادات التي تعيِّن الدلالة الزمنيَّة للفعل اسـتخدام (قد)، إذ أشـار الدارسـون العرب القدامى إلى أنَّ من معاني (قد) التحقيق، أي أنَّ الحدث بعدها كائن واقع،[2] وذلك حين يدخل

[1] ينظر: تحليل الجملة الفعلية، محمد إبراهيم البنا، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني، 1984م، ص: 94.

[2] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص: 26.

على الفعل الماضـي، وهذا ما أشـار إليه ابن هشـام النحوي في قوله تعالى: **{ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا }** [سورة الشمس: 9]، فقد أفادت إضافة (قد) للفعل الماضي (أفلَحَ) معنى التحقيق.[1]

ومن المعاني الإضـافيَّة التي ذكرها ابن هشـام لـــ (قد) تقريب الزمن الماضـي من الحال، فحين نقول: قام زيد، يحتمل الماضـي القريب والبعيد، فإن قلنا: قد قام زيد اختصَّ الماضـي بالزمن القريب،[2] من ذلك قول أبي فراس الحمداني:[3][من البسيط]

قَـدْ ضَـجَّ جَيْشُـكَ، مِنْ طُولِ القِتَـالِ بِـهِ، وَقَـدْ شَـكَتْـكَ إِلَيْنَـا الْخَيْـلُ وَالْإِبِـلُ!

وَقَـدْ دَرَى الـرُّومُ، مُـذْ جَـاوَرْتَ أَرْضَـهُـمُ، أَنْ لَيْسَ يَعْصِـمَهُمْ سَـهْـلٌ، وَلَا جَبَـلُ

فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ تَـزُورُ الـثَّـغْـرَ، لَا ضَـجَـرٌ يَـثْـنِـيـكَ عَـنْـهُ، وَلَا شُـغْـلٌ وَلَا مَـلَـلُ

فَـالـنَّـفْـسُ جَـاهِـدَةٌ، وَالْـعَـيْـنُ سَـاهِـدَةٌ، وَالْـجَـيْـشُ مُـنْـهَـمِـكٌ، وَالْـمَـالُ مُـبْـتَـذَلُ

[1] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشـام الانصـاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص: 197.

[2] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص: 195.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني، تح: سامي الدهَّان، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربيَّة، دمشق، د.ط، 1944م، ج2، ص: 297.

تَـوَهَّـمَـتْـكَ كِـلَابٌ غَـيْـرَ قَـاصِـــدِهَـا، وَقَـدْ تَـكَـنَّـفَـكَ الْأَعْـدَاءُ وَالشُّـــغُـلُ

حَـتَّـــى رَأَوْكَ، أَمَـــامَ الْـجَـيْـشِ، تَـقْـدُمُـهُ وَقَـدْ طَـلَـعْـتَ عَـلَـيْـهِـمْ، دُونَ مَـا أَمِـلُوا

أفاد دخول (قد) على الأفعال (ضَجَّ) و (شَكَا) و (دَرى) تحقيق وقوع الحدث في الزمن الماضي القريب من الحال، فقد ضَجَّ الجيشُ واشتكت الخيلُ والإبلُ لطولِ القتالِ حتَّى تحقيق النَّصر على الأعداء.

أراد الشاعر أن يصف طول القتال بين جيش سيف الدولة الحمداني والروم حتَّى تعبت الخيول والإبل التي كان يستخدمها الجنود للقتال في ساحة المعركة، إلى أنْ انهارت صفوف الروم أمام صبرِ ذلك الجيش، فقد أيقن الرُّومُ بأنَّ الهزيمةَ متحقِّقةٌ لأنَّهم يواجهون جيش سيف الدولة، فكانت هزيمتهم مُتحقِّقة، لذلك جاء بالفعل الماضي (دَرَى) مقرونا بـــــ (قد) لإفادة معنى تيقُّن الرُّوم بمحاصرةِ سيفِ الدولةِ لهم، فلا خَيَار لهم أمام جيشه إلَّا الاستسلام أو القتل، فجيشُهُ مُحيطٌ بهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، وقد استخدم الشَّاعرُ في وصفِ ذلك المشهد صورةً للمعنى الكلاميِّ مؤلَّفةً من عددٍ من الجملِ الفعليَّة القائمة على الفعل الماضي مع (قد)، فأفاد تكرار هذه الصِّيغة أو طريقة النَّظم معنى الحقيق، فهو يريد التَّأكيد، ونَزْعَ فكرة الزعزعة في نفس البطل المقاتل (سيف الدولة)، وتأكيدَ ثباته في المعركةِ على خلاف مَنْ مَعَهُ، وَمَنْ ضِـــدَّه، ولورود (قد) مع الفعل الماضي في صيغةِ الخبرِ دلالات معنويَّة سلكها الشَّاعر في صورتِهِ الكلاميَّةِ، فكأنَّهُ يُريدُ أنْ

يَسْـرُدَ لنا وقائعَ جرت في قلبِ المعركةِ، ففي المسـالك المعنويَّة التي وردت لدى الشَّـاعر نَجِدُ أنَّ (قد) مع الفعلِ الماضي تحملُ دلالتين: الأولى تحقيق والثانية تقريب، فكانَّه يريد بذلك تأكيدَ الفكرة وحَمْلَ المُخاطَبِ على تَصَوُّرها وكأنَّها جَرَتْ قريبًا في الزَّمَنِ.

والذي نجده أيضًا في الأبيات بالإضافة إلى السرد، الصُّورة العامَّة للمعركة، وتتلخَّص في طولِ زَمَنِ المعركةِ، وهذه الصُّورةُ أدَّت إلى ضَجَرِ جيشِ سيفِ الدولةِ، وكأنَّنا أمام تناصٍّ مع الآيةِ الكريمةِ في قوله تعالى: **{ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ }** [سـورة البقرة: 214]، فهنا اسـتبطاءٌ للنَّصْـرِ، وعند أبي فراس تصـويرٌ للضَّـجَرِ، ووجهُ المقارنةِ بين النَّظمين (نَظْمُ الآيةِ ونَظْمُ شِـعْرِ أبي فِراس) أنَّ أُسلوبَ القُرآن الكريم أخذَ طابعَ الإنشـاءِ وذلك ليُبيِّن أمرين: ثبوت الإياس لدى المؤمنين، وتضـجُّرهم من بطء النصـر، أمَّا لدى أبي فراس فهو صـــورة للمقاتل العادي الذي طال عليه أمد الحرب فأثقلته مدَّتهُ مع التضجُّر.

وبالمقابل نجدُ صـــورةَ الرُّومِ الَّذين أيقنوا بالهزيمةِ، وهذا اليقينُ ليس طارئًا بل هو ممتدٌّ إلى زمنٍ بعيدٍ، ولذلك وردَ النَّظمُ بصـيغةِ الماضـي مجرَّدًا من (قد) المؤكِّدة في قوله: (مُذْ جَاوَرْتَ أَرْضَـهُم) فهو خبرٌ يقينيٌّ لا يحتاجُ إلى التأكيدِ لأنَّ الأمرَ مشـــهورٌ معروفٌ، وهذا من قبيلِ النَّظْمِ القُرآنيِّ الكريمِ عندما نجدُ أنَّ الله تعالى يستخدمُ هذه الصِّيغةَ التي لا تحملُ تأكيداتٍ، وإنَّما تُصاغُ بطريقةٍ تدلُّ على أنَّها واقعٌ لا اختلاف عليه، ولذلك جاءت كثيرٌ من الآياتِ الكريمةِ تحمِلُ صـيغةً خبريَّةً فعلها ماضٍ بلا توكيدٍ، فكأنَّها معانٍ تدلُّ على تحصيلِ الحاصِلِ، كما في قوله تعالى: **{ خَتَمَ ٱللَّهُ**

عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ } [سورة البقرة: 7]

جاء الفعل الماضي (خَتَمَ) بلا توكيدٍ لأنَّ قدرةَ الله تعالى لا يُمكنُ مُناقشتُها أو مُعارضتُها، فهو أمرٌ لا يحتاجُ إلى توكيدٍ.

وننتقلُ إلى صُورةِ سيفِ الدولةِ أمامَ صُورَتَيْ جيشِهِ والرُّومِ، فنجدُ أبا فراس يُعبِّرُ عن ذلك في صُورةٍ كلاميَّةٍ انْتَقَلَ في صِيَاغَتِهَا مِنَ الفِعْلِ الماضي إلى الفِعْلِ المُضارعِ، وذلك ليؤكِّدَ صورةَ القائدِ أمامَ ما يواجِهَهُ من أمورٍ صعبةٍ، فهو لم ييئسْ، ولم يتراجعْ عن مقاصِدِهِ بل استمرَّ يقودُ الجَّيشَ بشجاعةٍ وإقدامٍ فجاءَ النَّظْمُ مُلائمًا ذلك، فاستخدمَ جُملةً خبريَّةً قدَّمَ فيها الظَّرف (يوم) على الفعل المضارع (تزُورُ) ليؤكِّدَ الزَّمنَ الذي يستمِرُّ ويتجدَّدُ.

وجاء الفعل المضارع الثاني (يَثْنِيكَ) بعد الاسم النَّكرة (ضَجَر)، فإذا كانت الجملةُ صفةً لـ (ضَجَر) فهو يريدُ بالصِّفةِ التوكيدَ على عدمِ ضَجَرِ القائدِ وإنْ ضَجِرَ جُنُودُهُ.

وهكذا تتبدَّى صورة الواقع، وتُلخَّص في ثباتها، وعدم تحوُّلها وكأنَّها صورةٌ تدعوا إلى اليأس لكن القائد يبقى متفائلًا على ما في الصُّورة من سوداويَّة.

وينتقل الشاعر إلى مسالك معنويَّة أخرى حين يصوِّر لنا أعداء آخرين لسيف الدولة، وتأتي صورةُ النَّظْمِ في هذه الصُّورةِ بصيغةِ الفِعْلِ الماضي المجرَّد من التَّوكيد في قوله: (تَوَهَّمَتْكَ)، والمتَّصل بـ (قد) في قوله: (قد تكنَّفَكَ).

وحين ننظُرُ إلى الصِّيغةِ الأولى نجدُ أنَّ الشَّاعِرَ استخدمَ الفعل الماضي على وزن (تَفَعَّل)، ولا بدَّ من تحليل هذه الصـــيغة، وما يقابلها من الصِّـــيغةِ الأُخرى التي جاءت على وزن (تفعَّل) لكنَّها متَّصلة بالتوكيد (قد).

ففي الأولى تدلُّ الصِّـيغةُ على تكلُّف بني كلاب للوهم، وجاءت الصِّـيغةُ الصَّـرفيَّةُ للفعل (تَوَهَّم) على وزن (تَفَعَّل) للمُبالغةِ والتَّكثيرِ، فهي تعلمُ أنَّ سيفَ الدولةِ لن يُسامِحَها على ما فعلت، لكنَّها تُريدُ تصديقَ أنَّ سيفَ الدولةِ لا يقصدها في هذه المعركة.

وجاءت الجملة الفعليَّة (تَوَهَّمَتْكَ) ذات فعل ماضٍ (توهَّم) غير مرتبط بأدواتٍ تدلُّ على زمن الفعل الحقيقي، فالحادثةُ الماضيةُ قد تكونُ قريبةً وقد تكونُ بعيدةً، وبما أنَّ الشَّاعِرَ يسردُ أحداثَ معركةٍ قائمةٍ فزمن الفعل الماضي ليس منقطعًا، بل هو ماضٍ يسري إلى الحاضر.

وقد حملت الجملةُ الفعليَّة (تَوَهَّمَتْكَ كِلابٌ غير قاصِـدِهَا) دلالةً على التَّعريضِ ببني كلاب، فهي قبيلةٌ غيرُ عقلانيَّة، لأنَّها تتخيَّل أشياءَ غيرَ ممكنةِ الحدوثِ، وهي أنَّ سيفَ الدولةِ قد عَفَى عنها، وأنَّه غيرُ قاصدِها حين انشغلَ بقتالِ الرُّوم.

وفي الثانية (تَكَنَّفَ) جاءت الصِّـــيغةُ الصَّـــرفيَّةُ للفعل الماضـــي على وزن (تَفَعَّلَ)، وقد جاءت مسبوقةً بـــ (قد) لغرض التَّحقيقِ وتقريبِ الزمن الماضـي من الحال، فالشَّاعرُ يُصـوِّرُ لنا واقعَ المعركةِ الذي يتجسَّـد بانشـغالِ سـيفِ الدولةِ بقتالِ الأعداءِ الَّذين أحاطوا به، وهذا ما دفع بني كلاب إلى ذلك الوهم.

وبالنظر إلى دلالة الفعلين (توهَّم) و (تكنَّف) نجدُ تقابلًا دلاليًا، فالتوهُّم قابله التكنُّف، ومن الملاحظ أنَّ الشَّاعرَ استخدمَ الصِّيغةَ الصَّرفيَّةَ (تَفَعَّل) في بناء الفعلين الماضيين، ممَّا أعطى تناغُمًا موسيقيًّا داخل البيت الشِّعريِّ من خلال الصِّيغة الصَّرفيَّة.

وبالعودة إلى دلالة البيت الشعري نجد الشاعر يسلك طريقةً خاصَّةً في بناء صورته الكلاميَّة، فقد اعتمد أسلوب التقديم والتأخير، فقدَّم التوهُّم على التكنُّف ليدلَّ على المشكلة الأساسيَّة الموجودة في الواقع، التي تجسَّدت في خيانة بني كلاب لسيف الدولة لانشغاله عنهم بقتال الروم، وإذا أعدنا ترتيب الألفاظ في سياق النظم يصبح البيت الشعري على النحو الآتي:

تَكَنَّفَكَ الأَعْدَاءُ والشُّغُلُ فَتَوَهَّمَتْكَ كِلَابٌ غَيْرَ قَاصِدِهَا

فالشَّاعرُ قدَّم ما حقُّه التأخير أثناء صياغةِ صورتِهِ الكلاميَّةِ لأهميَّته، وتغيَّرَ الموضعُ الإعرابيُّ لجُملةِ (قد تكنَّفَك الأعداءُ والشُّغُلُ) فجاءت حالًا نتيجةً لقلب المعنى، فعبَّرت عن الحالة التي كان عليها سيف الدولة وجيشه في محاربة الأعداء، فكانت سببًا في توهُّم بني كلاب.

وفي البيت السادس نجدُ الشَّاعرَ يصفُ الحالةَ التي آل إليها بنو كلاب، فقد استمرُّوا بتوهُّمهم بأنَّ سيف الدولة لا يقصدهم حتى حصل ما لم يكن بحسبانهم، وهو خروج سيف الدولة عليهم، فخيَّب آمالهم التي توهَّموها بسبب انشغالِ سيف الدولة عنهم، وقد عبَّر الشَّاعرُ عن هذا المعنى في صورةٍ كلاميَّةٍ اعتمد فيها على التقابل الدلالي بين التوهُّم والرؤية، فالتوهُّم وعدم الخبرة

وأحلام اليقظة يقابله الواقع الذي ينقضُ هذا التوهُّم، وفي ذلك مدحٌ مبطَّنٌ لســـيف الدولة، فبنو كلاب يتوهَّمون في حين سيف الدولة يمارس الفعل من خلال خروجه عليهم.

وقد جاء الفعل الماضي (رَأَى) دالًّا على الزمن الماضي المستمر بسبب ارتباطه بالفعل المضارع (تَقْدُمُه) الدال على الزمن الحاضـر والمسـتقبل، لأنَّه يريد أن يصـوِّر للمتلقِّي الحادثة التي جرت في الماضي وكأنَّها تحدث الآن، وجاءت جملة الحال (تَقْدُمُه) فضلة للمبالغة والتوكيد.

وفي مجيء (قد) قبل الفعل الماضـي (طَلَعْتَ) دلالة على التحقيق والتقريب، وجاءت جملة الحال (قد طَلَعْتَ عليهم) لإتمام المعنى وتفسير الفكرة التي ذَكَرَها سابقًا، فقد خيَّب أوهامهم وآمالهم بأنَّه لا يقصدهم من خلال خروجه عليهم لمحاربتهم، وجاء الفعل الماضي (أَمِلُوا) بعد الاسم الموصول (ما) الدَّالِّ على العموم والإبهام، فدلَّ على الزمن الماضي المنقطع، فآمال بني كلاب كانت كثيرة لكنَّها انقطعت حين رأوا ســيف الدولة وهو يقود الجيش نحوهم، وهو ما دلَّت عليه جملة الصِّــلة ذات الفعل الماضي (أَمِلُوا).

وهكذا نجد أنَّ أسلوبَ الشَّاعرِ في التَّعبيرِ عن المعنى اعتمدَ على استخدامِ الأفعالِ الماضيةِ إمَّا لتأكيدِ الفكرةِ، أو تقريبها من الزمن الحاضر من خلال دخول (قد) عليها، وكذلك استخدم الأفعال المضـارعة لتصـوير الأحداث الماضـية للمتلقِّي وكأنَّها تحدث الآن، وإلى جانب ذلك اعتمد على الجمل الحاليَّة التي جاءت بعد الجمل الفعليَّة لعدَّةِ دلالات منها: تعيين زمن وقوع الحدث، أو تبيين حالة معيَّنة، أو تفسير المعنى الذي سبقها.

ومن الجدير بالذِّكرِ أنَّ دلالةَ الفِعْلِ الماضي لا تقتصرُ على الزَّمَنِ الماضي في جميع أحوالِهِ، فقد تدلُّ صيغةُ (فَعَلَ) على الزَّمَنِ المُستقبلِ كما في أُسْلُوبِ الدعاء بالخير نحو قولنا: رضي الله عنه ورحمه الله، وكذلك يتطلَّب انتقال الزمن من الماضي إلى المستقبل في صيغة (فَعَلَ) استخدام حرف النفي (لا) في بناء الجُملة الفعليَّة، ولا سيَّما في أسلوب الدعاء السلبي، كما في قولنا: لا رحمه الله ولا رضي عنه•.[1]

ومن الصور الكلاميَّة التي جاء الفعل فيها دالًّا على الزمن المستقبل في صيغة الدعاء الإيجابي في شعر أبي فراس الحمداني قوله:[2] [من الطويل]

سَقَى اللهُ أَرْضَ الْمَوْصِلِ الْمُزْنَ إِنَّهَا لِمَنْ حَلَّهَا فَرْضٌ لَهُ الْحُبُّ وَاجِبُ

فالشَّاعر يدعو بالسُّقيا لأرضِ الْمَوْصِلِ التي حلَّها سيفُ الدولةِ الحَمْدَاني، فجاء الفِعْلُ الماضي (سَقَى) دالًّا على الزَّمَنِ المُسْتَقْبَلِ، فهو أُسْلُوبُ دُعَاءٍ إِيْجَابِيٍّ لا يتحقَّقُ الآن وإنَّما يتحقَّقُ في المُسْتَقْبَلِ، لذلك فهو صيغةٌ إنشائيَّةٌ غيرُ طلبيَّةٍ لأنَّه ليس له مُعادِل خارجي قبل النُّطقِ بِهِ، فهو يُنْشِئُ كلامًا لا يتحقَّقُ مَعْناهُ إلَّا بَعدَ التلفُّظِ بِه.

• إذا جاء الدعاء بهذه الصيغة وكان فيه نوع من اللبس ما بين الدعاء بالإيجاب أو بالسلب، فإنَّهم يضعون الواو بعد لا، نحو قولنا: هل تشتري منِّي هذه البضاعة؟ فيجيب المشتري: لا ورحمك الله.

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص: 28.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 33.

وإلى جانب ذلك نجدُ الشَّـــاعِرَ يُثْبِتُ فِكرةً قائمةً على الجُملةِ الخبريَّةِ، كأنَّه يقولُ: أدعو الله أنْ يَسْقِي أرضَ الموصل، فهنا كلامٌ مفهومٌ مُضْمَرٌ، فعبارةُ (أدعُو الله) أصلُ المعنى، لكنَّه حذفَ هذا الكلام، وهي جملةٌ مكوَّنةٌ مِنْ مُسْنَدٍ ومُسْنَدٍ إليه يُثْبِتُ بها الخبريَّة، فالجُمْلةُ هنا خبرٌ أعطتنا معنى الإنشاءِ، لأنَّ صيغةَ الدُّعاء (أدعو الله) أصلُها خبرٌ، إلَّا أنَّه لا يتحقَّقُ معناها إلَّا في المستقبلِ، وبعد التلفُّظ بها، فتحوَّلت من الخبرِ إلى الإنشاءِ.

ونُلاحِظُ في الشَّطْرِ الثَّاني من البيتِ أنَّ الشَّاعِرَ يُعلِّلُ السَّبَبَ في تلك الصِّيْغَةِ (صيغة الدعاء) فجاءت (إنَّ) دالَّةً على معنى التوكيد والتعليل، وتقدير الكلام: (فإنَّها لِمَنْ حَلَّها فرضٌ) فالفاء هنا استئنافيَّة تعليليَّة.

وهكذا نجدُ الجملتين (سَـــقَا اللهُ أرضَ الموصـــل المُزْنَ) و (إنَّها لِمَنْ حَلَّها فَرْضٌ) مُتَّصـــلتين مُنفصلتين، فالاتصال المعنوي تَحَقَّقَ في أنَّ الجُملةَ الثانيةَ تُعلِّل ما قبلها، أمَّا الفَصْلُ فقد تحقَّقَ في أنَّ الجُمْلَةَ الثانيةَ استئنافيَّة.

وبالوقوف على دلالة الجملة الفعليَّة ذات الفعل الماضـــي (حَلَّها) نجدُ أنَّ مجيئها بعد الاســـم الموصول (مَنْ) أفاد إيضاح الإبهام الذي حمله الاسم الموصول.

وبالعودة إلى دلالة الصُّورة الكلاميَّةِ في البيت الشعريِّ نجدُ ترابط الجمل دلاليًّا، فالشَّاعر يدعو بالسقيا لأرض الموصل لأنَّ سيف الدولة حلَّ فيها، وهذه الدعوة فرضٌ لما لسيف الدولة من فضائل، وهي دعوةٌ واجبةٌ مِنْ مُنْطَلَقِ المحبَّةِ والإخلاصِ تُجاه سيف الدولة الحمداني.

وجاءت الجملة الاسميَّة (له الحبُّ واجبُ) دالَّةً على الثبات، فهنا لدينا إثبات نسبة المسند للمسند إليه، وقد تقدَّم المسند (له) على المسند إليه (الحُبُّ) لأهميَّته، وصيغةُ الاسم (واجِبُ) تدلُّ على الاستمرارِ، أي أنَّ هذا الحب تُجاه سيف الدولة ثابتٌ ومُسْتَمِرٌّ.

ولا تقتصر دلالةُ الفعل الماضي على الزَّمنِ المُسْتَقْبَلِ في أُسْلوبِ الدعاء فحسب، بل من الممكن لبعض الأدوات أنْ تَدْخُلَ على الجملةِ الفعليَّةِ ذات الفعلِ الماضي فتنقلها من الزمن الماضي إلى المُستقبل، كما في أدوات الشرط (إنْ) و (إذا)، فكلتا الأداتين تفيدان حصول الجزاء بحصول الشَّرط في المُستقبل، كما في قولنا: إنْ جِئْتَنِي أَكْرَمْتُك، وإذا جِئْتَنِي أكرمْتُك،[1] إلَّا أنَّ الفرقَ بين الأداتين كما يقولُ الخطيبُ القزويني (– 739 هـ): " هو أنَّ الأصلَ في إنْ ألَّا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه كما تقول لصاحبك ((إن تُكرِمْني أُكْرِمْك))، وأنت لا تقطع بأنَّه يُكْرِمُك، والأصل في إذا أنْ يكون الشَّرطُ فيها مقطوعًا بوقوعه، كما تقول: إذا زالت الشَّمْسُ آتيك، ولذلك كان الحُكْمُ النادرُ موقعًا لإن، لأنَّ النادرَ غيرُ مقطوعٍ به في غالبِ الأمرِ، وغلبَ لفظُ الماضي مع إذا لكونه أقرب إلى القطعِ بالوقوعِ نظرًا إلى اللَّفظ "[2].

ومن مجيء الجُملة الفعليَّة ذات الفعل الماضي دالَّةً على الزَّمن المُستقبل بعد أداة الشَّرطِ (إنْ) في شعرِ أبي فِراس الحَمْداني قوله في رثاء أبي المرجَّى جابر بن ناصر الدَّولة:[3] [من الكامل]

[1] ينظر: خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط4، 1996م، ص: 322.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج2، ص: 117.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2 ص: 301.

أَ أَبَـا الْـمُـرَجَّـى! غَـيْـرُ حُـزْنِـيَ دَارِسٌ، أَبَـدًا عَـلَـيْـكَ، وَغَـيْـرُ قَـلْـبِـيَ سَـالِ

وَلَـئِـنْ هَـلَـكْـتَ فَـمَـا الْـوَفَـاءُ بِـهَـالِـكٍ، وَلَـئِـنْ بَـلِـيـتَ فَـمَـا الْـوِدَادُ بِـبَـالِ

فالشاعر يرثي أبا المرجَّى، ويصفُ مقدار حُزنه عليه، وقد استخدم أسلوبَ المدحِ المُبطَّن، فمدح نفسه من خلال وصف حُزن الآخرين على أبي المرجَّى بأنَّه حزنٌ ينقضي، بينما حزنه عليه لا ينقضي، وكذلك الأمرُ فيما يتعلَّقُ بسلوان قلب الآخرين عن تذكُّرِ أبي المرجَّى، بينما قلب الشاعر لا يسلاه، فهو دائم التذكُّر له.

ونجدُ الشاعر في البيت الثاني يسلك طريقةً خاصَّةً في بناء التركيب في صورته الكلاميَّة، إذ تحوَّلت دلالة الفعل الماضي في الجملتين الفعليَّتين " لإنْ هلكت فما الوفاء بهالكٍ " و " لإنْ بَليتَ فما الودادُ بِبَالِ " من الزمن الماضي إلى المستقبل، ويعود الفضل في ذلك إلى دخول (لام القسم) و (إنْ) الشرطيَّة على الفعل الماضي (هلك) و(بليَ) فأفاد القسم معنى التوكيد، وأفادت (إنْ) الشرطيَّة انتقال دلالة الحدث في الفعل الماضي إلى الزمن المستقبل، واستخدام الشاعر لأداة الشرط (إنْ) دون (إذا) دلالة على توقُّع وقوع الحدث في الزمن المستقبل، فالمرثي وإنْ بلي جسمه بعد موته إلَّا أنَّ ذِكره سيبقى حيًّا وفاءً لِما له من فضائل على أبناء قبيلته، لذلك نجد الشاعر قد استخدم في جواب الشرط جملتين اسميَّتين (فما الوفاء بهالك) و(فما الوداد ببالِ) للدلالة على ثبات واستمرار وفائه ووداده لأبي المرجَّى بعد موته.

ومن الملاحظ أنَّ الشَّاعر استخدم صيغةَ اسم الفاعل (فَاعِل) في جملة جواب الشرط (ما الوفاءُ بهالكٍ) و(ما الوداد بِبَالِ)، وذلك للدلالة على ثباتِ واســـتمرارِ الوفاءِ والوِدَادِ لأبي المُرجَّى بعد موته.

ومن ذلك أيضًا قوله:[1][من مجزوء الكامل]

وَلَـــئِـــنْ قُـــتِـــلْـــتُ، فَـــإِنَّـــمَـــا مَـــوْتُ الْـكِـرَامِ الصِّـــيـــدِ قَـــتْـــلَا

جاء الفعل الماضي المبني للمجهول (قُتِلَ) دالًّا على الزمن المستقبل، والسبب في ذلك هو مجيئه بعد أداة الشرط (إنْ) في سياقِ الصُّورة الكلاميَّة، واستخدم الشَّاعر (إنْ) للدلالة على توقُّع حدوث الأمر، فالشَّـاعر أرادَ أنْ يسـتبعِدَ انتهاء أجله بالقتل، لكن إنْ حصـلَ ذلك الأمر فإنَّما هو موتٌ مُشرِّفٌ لأنَّ الكرام تموت قتلًا.

وقد جاءت الجملة الاسميَّة (موتُ الكرامِ الصِّيد قتلًا) للدلالة على إثبات نسبة المُسند إلى المُسند إليه، فأثبت الشَّاعرُ أنَّ القتلَ هو صفةٌ ملازمةٌ لموتِ الكِرامِ.

ومن تحوُّلات الزمن في الفعل الماضي إلى المستقبل مجيئه بعد (إذا) الشرطيَّة، من ذلك قول أبي فراس الحمداني مفتخرًا:[2][من البسيط]

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، القسم الثالث، ص: 329.
[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 260.

إِذَا بُلِيتُ بِنَصْلِ السَّيْفِ، مُنْصَلِتًا، فَمَا أُبَالِي أَوَالَى الدَّهْرُ، أَمْ جَافَى!

جاءت الصُّورة الكلاميَّة في البيت السابق دالَّةً على الزمن المستقبل، ذلك أنَّ الشَّاعر استخدم في سياق النَّظم (إذا) الظرفيَّة الشرطيَّة، فأخذت من الفعل الماضي (بَلِيَ) دلالته على تحقُّق وقوع الحدث، وأعطته الدلالة على الزمن المستقبل، وقد أصاب الشاعر في اختيار (إذا) للدلالة على تحقُّق شجاعته وثباته في مواجهة الأعداء عندما تسلَّط أسيافها نحوه، فهو في هذا الموقف لا يبالي بما سيحصل له عند ملاقاة الأعداء، وفي اختيار الشاعر لأداة الشرط (إذا) دون غيرها من أدوات الشرط دلالة على أنَّ تسلط السيوف من قبل الأعداء أمرٌ متوقَّع الحدوث لا محالة، ومواجهته لهم أمرٌ محتومٌ بالنسبة له، لذلك جاءت الصُّورة الكلاميَّة دالة على الغرض الذي أراده منها وهو الفخر، فهو الشَّاعر الفارس الذي لا يخشى على نفسه من رَيْبِ الزَّمانِ وتبدُّلاته إذا ما فُرِضَ عليه مواجهة الأعداء.

ومن مجيء الفعل الماضي دالًّا على الزمن المستقبل بعد (إذا) الظَّرفيَّة الشَّرطيَّة أيضًا قول أبي فراس الحمداني:[1][من الوافر]

إذا قُضِيَ الْحِمَامُ عَلَيَّ، يَوْمًا، فَفِي نَصْرِ الْهُدَى بِيَدِ الضَّلَالِ

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 282.

جاء الفعل الماضي (قُضِيَ) مبنيًّا للمجهول، وحُذِف الفاعل (لفظ الجلالة) وناب عنه المفعول به (الحِمَام) لأنَّ الفاعل معروف من سياق الكلام، فالذي يقضي بالموت على الإنسان هو الله عزَّ وجلَّ، وقد جاء الفعل الماضي مسبوقًا بـــ (إذا) الظرفيَّة الشَّرطيَّة، فتحوَّلت دلالة الزمن في الفعل (قَضَى) من الماضي إلى المستقبل، إلَّا أنَّه مستقبلٌ غيرُ مُحدَّدٍ في أيِّ وقتٍ، لأنَّ الذي يقضي بالموت على الإنسان هو الله عزَّ وجلَّ، والموت أمرٌ غيبيٌّ لا يعلمه إلَّا الله، لذلك أتى الشَّاعر بالظرف (يومًا) نكرةً، وبما أنَّ الشَّاعرَ مهديٌّ لنصرته الحق، بينما الأعداء أهلُ ضلالٍ لأنَّهم على باطلٍ، فإنَّه وإنْ قُتِلَ على أيديهم فذلك نصرٌ له، لأنَّه نصرٌ للهُدى على الضلال، وفي ذلك عبرةٌ، فهنا لدينا مبتدأٌ محذوفٌ مفهومٌ من سياق الكلام تقديره (عِبْرَةٌ)، وبذلك يصبح تقدير العبارة: (في نَصْر الْهُدَى بِيَدِ الضَّلَالِ عِبْرَةٌ)، فالشَّاعر استخدم في صورته الكلاميَّة صياغةً خاصَّةً للكلامِ، اعتمدت على التفاعل ما بين المتكلِّم والمُخاطب، وكأنَّه يطلب من المخاطب أنْ يُكمِل العبارة.

ومن الأبيات الشعريَّة التي جاء الفعل الماضي فيها دالًّا على الزمن المستقبل بعد أداتي الشرط (إنْ) و(إذا) في بيتٍ شعريٍّ واحدٍ قول أبي فراس الحمداني:[1] [من الطويل]

إذَا صُلْتُ، يَوْمًا، لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا؛ وَإِنْ قُلْتُ، يَوْمًا، لَمْ أَجِدْ مَنْ يُقَاوِلُ!

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 293.

جاء الفعل الماضي (صُلتُ) و(قُلتُ) بعد أداتي الشرط (إذا) و(إنْ) فتحوَّلت دلالةُ الفعلِ في كُلٍّ من الجملتين الفعليَّتين من الزَّمن الماضي إلى المُسْتَقْبَلِ، ففي الجُملةِ الفعليَّةِ الأولى دخلت (إذا) الظَّرفيَّة الشَّرطيَّة على الفعل الماضي (صُلْتُ) للدلالةِ على أمرٍ متوقَّع الحدوث في المستقبل، وهو ضربُ الأعداءِ بالسَّيفِ في ساحات القتال، في حين دخلت (إنْ) الشَّرطيَّة على الفعل الماضي (قُلتُ) للدلالة على أمرٍ قليل الحدوث في المستقبل بالنسبة لأفعاله في ساحة المعركة، فقد أراد أبو فراس من خلال هذا البيت أنْ يَفْخَرَ بِشجاعته وذوده عن قبيلته بسيفه وشعره، فهو الفارس الشَّاعر الذي لا يُغلب، فأفعاله في ساحات القتال من ضرب الأعداء بالسيف كثيرة، وذوده عن قبيلته بشعره وإن كان قليلًا بالنسبة لأفعاله إلَّا أنَّه لا يجد مَنْ يُجاريه بقول الشِّعْرِ.

وقد تأتي الجملة الفعليَّة في الصُّورة الكلاميَّة ذات فعلٍ مضارعٍ، وهو الفعل الذي يدلُّ في أصل وضعه على حدثٍ وقع لحظة النطق به واستمرَّ لفترةٍ من الزمن، إلَّا أنَّ دلالته الزمنيَّة قد تختلف عمَّا هو عليه في أصل الوضع، ويعود السبب في ذلك إلى ما تؤدِّيه القرائن داخل بناء الجملة الفعليَّة، فتنقل دلالة الفعل المضارع من زمنٍ لآخر.[1]

فمن مجيء الفعل المضارع دالًّا على الزَّمن الحاضر قول أبي فراس الحمداني مفتخرًا:[2] [من الطويل]

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص: 32.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 213.

يَـقُـولُـونَ لِـي: ((بِـعْـتَ السَّـــلَامَـةَ بِـالـرَّدَى)) فَقُلْـتُ: ((أَمَـا وَاللهِ، مَـا نَـالَنِي خُسْـــرُ))

وَهَـلْ يَـتَـجَـافَـى عَـنِّـي الْـمَـوْتُ سَـــاعَـةً، إِذَا مَـا تَجَـافَى عَنِّيَ الْأَسْـــرُ وَالضُّـــرُّ؟

من الملاحظ أنَّ الشَّـاعر اسـتخدم الفعل المضـارع (يَقُولُون) في أثناء حديثه عن أحداثٍ حدثت معه في الزمن الماضـــي، والسَّـــبب في ذلك هو أنَّه يُريدُ أنْ يَنقُلَ لنا تلك الأحداث إلى الزمن الحاضر وكأنَّها تحصل معه الآن، لذلك جاءت الجملة الفعليَّة مصدَّرة بالفعل المضارع (يَقُولُون)، وقد تبعه الجار والمجرور (لي) للدلالة على التَّخصـيص، أي أنَّ هذا التعريض مخصـوصٌ من أصـحابه، في حين اسـتخدم الفعل الماضـي (قُلْتُ) للدلالة على أمرٍ متحقِّق الوقوع، فموقفُهُ من مواجهة الأعداء لا عودة عنه، وقد حُذِف متعلِّق الفعل (لَهُم) للدلالة على العموم، أي أنَّ جوابه لكلِّ مَنْ يُعرِّض به ثابتٌ، وقد أكَّد ذلك من خلال اسـتخدامه (أما)، والقسـم (والله)، فجاء الخبر إنكاريًّا للتأكيد على ثباته عند موقفه في مواجهة الأعداء.

وفي قوله: (بِعْتَ السَّـلامَةَ بِالرَّدى) صـورةٌ كلاميَّةٌ حَمَلَتْ دلالةً على التَّعريضِ بالشَّـاعِرِ مِنْ قِبَلِ أصـحابه لأنَّه فضَّـل الموتَ أو الأسـرَ على سـلامةِ نفسِـهِ بالفرار، فالفعل الماضـي (بِعْتَ) من الأضداد، وهذا الأسلوبُ معروفٌ في كلامِ الشُّعراءِ، إذ يحمِلُ دلالةً على البيعِ والشِّراءِ، فالشَّاعِرُ اشترى سلامةَ نفسِهِ بالموتِ، لأنَّ الموتَ أمرٌ حاصلٌ لا محالة، فكأنَّ الشَّاعر أرادَ القولَ: إنَّ أمر مواجهة الأعداء لنيل السلامة من الموت المحتوم عليَّ قد حُسمَ أمره، فلا مفرَّ للإنسان من الموت

سـواء أكان حرَّاً طليقًا أو في الأسـر، فإنَّ كان لا بدّ من الموت فليكن موتًا مشـرِّفًا في سـاحات القتال.

ثانيًا: نتائج البحث:

1- يعدُّ الفعل الرُّكن الأساس في تركيب الجملة الفعليَّة، فعليه مناط التعلُّق ونواته، فهو يدلُّ على الحدث والزَّمن والفاعل، إلَّا أنَّ دلالته تبقى مبهمة إلى أنْ يكتمل تركيب الجملة الفعليَّة التي تزيل إبهامه.

2- اعتمد الشَّـاعر في أسـلوبه – غالبًا – على اسـتخدامِ الأفعالِ الماضـيةِ إمَّا لتأكيدِ الفكرةِ، أو تقريبها من الزمن الحاضـر من خلال دخول (قد) عليها، وكذلك اسـتخدم الأفعال المضـارعة لتصـوير الأحداث الماضـية للمتلقِّي وكأنَّها تحدث الآن، وإلى جانب ذلك اعتمد على الجمل الحاليَّة التي جاءت بعد الجمل الفعليَّة لعدَّةِ دلالات منها: تعيين زمن وقوع الحدث، أو تبيين حالة معيَّنة، أو تفسير المعنى الذي سبقها.

3- تعد القرائن الداخلة على تركيب الجملة الفعليَّة ركنًا أساسًا في توجيه دلالة الزَّمن في الأفعال، ومن هنا نلاحظ أنَّ دلالة الأفعال على الزمان لا تتحدَّد بصيغتها التي تُصاغ منها فحسب، وإنَّما يتمُّ تحديد زمانها من صـيغتها الصـرفية وبناء الجملةِ وما تتضـمَّنه من زياداتٍ تُعينُ الفِعْلَ على تقرير الزمان في حدود واضحة.

4- تعدُّ بعضُ أدوات الشَّـرط ركنًا أسـاسًـا في توجيه دلالة الزَّمن في تركيب الجملة الفعليَّة ذات الفعلِ الماضي، فتنقلها من الزمن الماضي إلى المُستقبل، كما في أداتَي الشرط (إنْ) و (إذا).

ثالثًا: المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

- القرآن الكريم.

1- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدَّة، د.ط، د.ت.

2- الإيضـــاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط3، 1993م، ج2.

3- الخصائص، ابن جنِّي، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصريَّة، المكتبة العلميَّة، د.ط، د.ت، ج3.

4- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شـــاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992م.

5- ديوان أبي فراس الحمداني، تح: سـامي الدهَّان، المعهد الفرنسـي بدمشـق للدراسـات العربيَّة، دمشق، د.ط، 1944م.

6- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة – مصـر، ط3، 1988م، ج1.

7- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الانصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ج1.

8- مفتاح العلوم، السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 2000م.

- **المراجع العربيَّة:**

1- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة – مصر، ط1، 1994م.

2- خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط4، 1996م.

3- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط3، 1983م.

- **المجلَّات:**

1- تحليل الجملة الفعلية، محمد إبراهيم البنا، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني، 1984م.